اللغو في كتاب سيبويه

أ.د. سعاد كريدي كنداوي
محمد جبار الجنابي

ملخص البحث:
يُعدّ مصطلح اللغو في كتاب سيبويه مفهوما متكاملا؛ له نظامه, ودلالاته, فاللغو له مجالات عدّة, منها ما وقع مع الأسماء, وقد يرد مع الأفعال, ومنها ما وقع مع الأدوات والحروف.
وشاع هذا المصطلح, وتردد ذكره في الكتاب, ولكن سرعان ما أُمِيتَ بعد سيبويه, واستُبدِل بمصطلح الزيادة. وهذا البحث محاولة لتصحيح المقولة الخاطئة: أنّ اللغو, والزيادة بمعنى واحد. إذ تبيّن أنّ استعمال مصطلح اللغو أليق وأدق من مصطلح الزيادة, وإنْ أُسِيء فَهمه.

اللغو لغةً

اللغو في اللغة مصدر الفعل: لغا يلغو لغوا,ويقصد به اختلاط الكلام في الباطل, قال الخليل (ت175هـ):((لغا يلغو لغواً، يعني اختلاط الكلام في الباطل، وقول الله عزّ وجلّ:﴿ وإذا مرّوا باللّغو مرّوا كراما ﴾ (1)، أي: بالباطل))(2) .
والمراد من اللغو في الكلام هو((مالا يُعتد به
وهو الذي يُورَدُ لا عن رويةٍ ولا فِكرٍ))(٣).

المقدمة

اللغو اصطلاحاً, يُراد باللغو اصطلاحا هو:((ضمّ الكلام ما هو ساقط العبرة منه،وهو الذي لا معنى له في حق ثبوت الحكم))(4).
وقد يراد به هو كل ما جِيء به في كلام تامٍ حسُن السكوتُ عليه, وأفاد فائدة ولا أثر له في ترتب الحكم في ذلك الكلام, أي: ثبوت الحكم للمحكوم عليه.
فليس للغو أي تأثير في المعنى الكلي المقصود من
الكلام, فكما لا يُغيّرالمحكوم عليه من زيدٍ إلى أخر,

الكلام, فكما لا يُغيّرالمحكوم عليه من زيدٍ إلى أخر, كذلك لايتأثر به الحكم, فمثلا قولنا: زيدٌ قائمٌ عندك , لايمكن أن يتأثر الحكم, فيتحول الحكم من القيام إلى القعود, وإنْ كان له تأثير كبير في حَيثياتٍ أخرى في ذلك القيام سيأتي بيانها في حينه.

توطئة

استعمل سيبويه صيغاً عدّة أشار من خلالها إلى مفهوم اللغو بوصفه أداة مؤثرة أمّا من جهة المعنى ,أو من جهة الإعراب ,أو فيهما معا, ولهذا ينقسم اللغو على قسمين:

1- اللغو اللفظي المعنوي

وهو اللغو الذي لا يُحدث العامل المُلغَى عن العمل أثرا إعرابيا, ومعنويا فيما تسلّط عليه, وانما أحدث معنى مغايرا عما سبق, وينقسم اللغو على قسمين:

أ - اللغو الجائز

عبّر سيبويه عن هذا القسم من الإلغاء بقوله:

إنْ شِئتَ ألغيتَ, والظرف واحد ممّا أجاز فيه الإلغاء, والإعمال,قال سيبويه:((تقول: ما كان فيها أحدٌ خيرٌ منك، وما كان أحدٌ مثلك فيها، وليس أحدٌ فيها خيرٌ منك، إذا جعلتَ فيها مستقراً ولم تجعله على قولك فيها زيدٌ قائمٌ، أجريتَ الصفة على الاسم. فإنْ جعلته على قولك فيها زيدٌ قائمٌ نصبتَ,تقول: ما كان فيها أحدٌ خيراً منك، وما كان أحدٌ خيراً منك فيها))(5).

فإلغاء المستقرّ جائز عند سيبويه, غير واجب, وهو أمرٌ يَرجع لقصد المتكلم؛ لأن كلّ تركيب له معنى مغاير عن الآخر.

ب- اللغو الواجب

أشار سيبويه إلى هذا القسم بعبارة: تغيِّر العملَ,حيث قال ((وقد تغيِّر الحرفَ حتى يصير يعمل لمجيئها غير عمله الذي كان قبل أن تجيء, وذلك نحو قوله: إنّما وكأنما ولعلما: جعلتهنّ بمنزلة حروف الابتداء))(6).فإذا اتصلت (ما) بـ(إنّ) وأخواتها بطل عملهنّ, وصار ما بعدهما مرفوعا بالابتداء وغيّرت مجال اختصاصهنّ بالأسماء, إذ هيّأتهنّ للدخول على ما لم يدخلنَ عليه مِن قبل نحو إنما يقومُ زيدٌ (٧).

2- اللغو المعنوي

وهو الإلغاء الذي تتغيّر معه المعاني القديمة, وتولّد معان جديدة, وهذا النوع يؤثر في المعنى, لذا سمّي بالمعنوي, وله مجالٌ واسعٌ في الكتاب, منه:

أ ـ ألا

وهي أداة تركبَتْ من الهمزة ,و(لا) النافية , ولها معنيان :

أحدهما: العرض, قال سيبويه: ((وسألت الخليل رحمه الله عن قوله (8):

ألا رجلاً جزاه اللهُ خيراً

يدلّ على مُحصّلةٍ تبيتُ

فزعم أنّه ليس على التمني، ولكنه بمنزلة قول الرجل: فهلاّ خيراً من ذلك، كأنه قال: ألا تُروني رجلاً جزاه الله خيراً))(٩), فإذا أفادتْ معنى العرض دخلتْ((على الجملة الفعلية لاغير كقولك: (ألا تقومُ) و(ألا تقعدُ), وإذا وليتها الأسماء فعلى تقدير الأفعال كقولك : ألا زيدا)) (٠١). والآخر: التنبيه: قال سيبويه: ((وأمّا (ألَا), فتنبيه, تقول: ألَا إنّه ذاهبٌ))(١١), فلمّا تركبت (لا) النافية مع الهمزة غيَّرتْها عن معنى الاستفهام إلى التنبيه (٢١).

إذاً تركبها قد أفاد معنى جديدا لم يكن قبل دخولها, وهو معنى مختلف عن معنى الأداتين, ووظيفتيهما السابقتين, فالتركيب منحها أهلية الدخول على الأفعال, والأسماء .

ب ـ هَلّا

وهي أداة مركبة من (هَل), و(لا) عند سيبويه , و وكثيرمن النحويين(٣١) قال سيبويه:((هَلّا فعلتَفتصير (هل) مع (لا) في معنى آخر .))(٤١) .ولها معنيانِ:الأول: التحضيض , قال سيبويه: ((هلا ولولا وألاَّ، ألزموهنّ لا وجعلوا كلّ واحدة مع لا بمنزلة حرف واحد، وأخلصوهنّ للفعل حيث دخل فيهنَّ معنى التحضيض))(٥١), الثاني:العرض, قال سيبويه: ((وربّما عَرَضتَ هذا على نفسك فكنتَ كالمخاطب, كقولك: هلّا أفعلُ .))(16). فـ(هل)تقوم بمعنى الاستفهام, وبعد تركبه مع(لا) تغيرتْ وظيفته إلى وظيفة أخرى كالتحضيض أوالعرض, وكلّ وظيفة لها سياق مختلف عن الوظيفة الأخرى. يظهر أنّ تضام أداة مع أخرى يُولّد معنى وظيفيا آخر, فضمُّ الأداة (هل) مع (لا) قد أحدث معنى وظيفيا جديدا, وهو التحضيض, أوالعرض حسب السياق ,وألغى معنى الاستفهام .

المبحث الأول

اللغو في الأسماء

يعدّ الإلغاءُ في الأسماء مجالا واسعا له أنماطُه, ودلالاته التي يَصعبُ الاستغناءُ عنها بحالٍ من الأحوال, ومن مجالات اللغو في الأسماء:

أولا: اللغو في أشباه الجمل

لأشباه الجمل أنماط مختلفة تبعا لقصد المتكلم, ويمكن أن نقسمها على قسمين:

١- اللغو في الجار والمجرور

للجار والمجرور اعتبارات مختلفة, فيمكن أن يكونا ركناً من ركني الإسناد, كما يمكن أن يكونا لغوا, قال سيبويه:((وتقول: ما كان فيها أحدٌ خيرٌ منك، وما كان أحدٌ مثلُك فيها، وليس أحدٌ فيها خيرٌ منك، إذا جعلت فيها مستقرّاً, ولم تجعله على قولك: فيها زيدٌ قائمٌ ،أجريتَ الصفة على الاسم. فإن جعلته على قولك: فيها زيدٌ قائمٌ نَصبتَ، تقول: ما كان فيها أحدٌ خيراً منك، وما كان أحدٌ خيراً منك فيها, إلّا أنك إذا أردتَ الإلغاء, فكلّما أخّرتَ الذي تُلغيه كان أحسن. وإذا أردتَ أن يكون مستقراً تكتفي به فكلّما قدّمته كان أحسن ،لأنه إذا كان عاملاً في شيءٍ قدّمته كما تقدّم أظنُّ وأحسبُ، وإذا ألغيتَ أخّرته كما تُؤخّرهما، لأنّهما ليسا يعملان شيئاً))(17).

فقولك:ما كان أحدٌ خيرا منك فيها,أحسنُ من قولك:ما كان فيها أحدٌ خيرا منك؛ لأنّ (فيها) لغو.كما أنّ قولك:ما كان فيها أحدٌ خيرٌ منك,أحسنُ من قولك: ما كان فيها أحدٌ خيرٌ منك فيها؛ لأنّ (فيها) خبر .(18)

فالجار والمجرور يمكن أن يؤدي وظيفتينِ مختلفين: الأولى: أن يكون مستقرا أي: خبرا لنكرة موصوفة. والثانية: أن يقع الظرف لغوا, فتكون الصفة حينئذ خبرا للمبتدأ النكرة,

وساغ الابتداء؛ لأنّها قد وُصفتْ. ويرد الجار والمجرور**مع النكرة**, قال سيبويه: ((التقديم ههنا والتأخير, فيما يكون ظرفاً أو يكون اسماً، في العناية و الاهتمام، مثله فيما ذ ذكرتُ لك في باب الفاعل والمفعول. وجميعُ ما ذكرتُ لكَ من التقديم, والتأخير, والإلغاءُ, والاستقرارُ عربيّ جيدٌ كثيرٌ, فمِن ذلك قوله عزّ وجلَّ: ﴿ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفواً أَحَدٌ﴾(٩١) وأهلُ الجفاءِ منَ العربِ يقولون: ﴿ولم يكنْ كفواً له أحد﴾(٠٢)، كأنّهم أخّروها حيث كانت غيرَ مستقرة. وقال الشاعر (١٢):

لَتَقربُنَّ قَرَباً جُلْذِياً ما دام فيهُنَّ فصيلٌ حيّاً

فقد دَجا الليلُ فهيَّا هِيَّا))(٢٢).

والشاهد فيه تقديم الظرف(فيهنّ)؛ لأنه لغوٌ, و(فصيل)اسم مادام ,وحيّا خبرها. وتقديم الظرف, أو تأخيره, وجعله خبرا مستقرا كلُّ ذلك جيد, وكثير الاستعمال, وقديُلغى الظرف مع تقديمه,وعليه قوله تعالى: (ولم يكنْ له كفواً أحدٌ), فقدّم (له), ولم يكن مستقرا, ومع هذا قدّمه(٣٢).

ويرد الجار والمجرور **مع المعرفة**, وهو مجال نحويّ آخر ذكره سيبويه يكون فيه الجار و المجرور خبرا للمعرفة, قال سيبويه :((هذا باب ما ينتصب فيه الخبرلأنّه خبرٌ لمعروف يرتفع على الابتداء قدّمْته, أو أخرّته وذلك قولك : فيها عبد الله قائماً،وعبد الله فيها قائماً. فعبد الله ارتفع بالابتداء لأنّ الذي ذكرتَ قبله وبعده ليس به، وإنّما هو موضعٌ له، ولكنّه يجري مجرى الاسم المبني على ما قبله. ألا ترى أنك لو قلت: فيها عبدُ الله حسُن السكوت ,وكان كلاماً مستقيماً، كما حسن واستُغني في قولك: هذا عبدُ الله . وتقول : عبد الله فيها، فيصير كقولك عبد الله أخوك. إلّا أنّ عبد الله يرتفع مقدَّماً كان أو مؤخراً بالابتداء))(24).

إذا تقدم الاسم ارتفع بالابتداء أخّرت الظرف, أو قدمته, وحجة سيبويه في ذلك أننا لو أدخلنا (إنّ) نصبنا الاسمَ ,وإنْ كان قبله ظرف مكان كقولنا:(إنّ في الدار زيداً) فلو كان (في الدار) يرفع زيدا قبل دخول (إنّ) لمّا غيرتْه (إنّ) عن العمل .(٥٢)

2 ـ اللغو مع الظرف

يرد ظرف الزمان بمنزلة العُمَد,إذ لا يمكن الاستغناء عنه؛ لأنه يمثل ركنا مهما من أركان الجملة,ويمكن أن يُلغى لمسوغات يقتضيها المقام, قال سيبويه: ((ولو نَصبتَ هذا لَقلتَ: إنّ اليومَ زيداً منطلقاً ،ولكن تقول: (إنّ اليومَ زيداً منطلقٌ)، وتُلغي اليومَ كما ألغيتَه في الابتداء))(٦٢) .

فـ((الظرفُ الذي يستغني به الاسم, فيحسُن عليه السكوت, والذي يَنصب الظرف في خبر(إنّ) هوالذي كان ينصبه في خبرالابتداء, وجواز الحال, والخبر في (إنّ) كجوازهما في الابتداء, والظرف موقعه اسم هو الأول مرفوع؛ لأنّ قولنا: زيد خلفك وإن زيدا خلفك, موقعه موقع إنّ زيدا مستقرٌ , وإنّ كان إعرابه يخالف إعرابه, كما أنّ مررتُ برجل يقول ذاك, في موضع قائلٌ ذاك, ويقول مرفوع, وقائل مخفوض. وتقول: إنّ بك زيدا مأخوذٌ, وإنّ لك زيدا واقفٌ, من قِبل أنك إذا أردتَ الوقوف, والأخذ لم يكن بك ولا لك مستقرين لزيد, ولا موضعين, ألا ترى أن السكوت لا يستغنى على زيد, إذا قلتَ: لك زيدٌ, وأنتَ تريد الوقوفَ, ومثل ذلك: أنّ فيكَ زيدا لراغبٌ))(٧٢).

يُلغى ظرف المكان إذا كان مستقرا ,وههنا يستعين سيبويه في توجيه الإلغاءِ بموجِّه آخر حيث اعتمد بذلك على ظرف المكان (خلف) كما اعتمد على

(فيها) بإلغاءالجار والمجرور فيما سبق. قال سيبويه: ((وأمّا قولهم: داري خلفَ دارِك فرسخاً، فانتصب لأنّ خلف خبر للدار، وهو كلام قد عمل بعضه في بعض واستغنى، فلما قال: داري خلفَ دارك أبهم، فلم يَدر ما قدّر ذاك، فقال: فرسخاً وذراعاً وميلاً، أراد أن يُبيّنَ. ...

وإن شِئتَ قلتَ: داري خلفَ دارِك فرسخانِ، تُلغي (خلف) كما تُلغي (فيها) إذا قلت: فيها زيدٌ قائمٌ))(٨٢).

وإذا أعملتَ قلتَ: (داري خلفَ دارِك فرسخاً) نصبتَ فرسخا على التمييز؛ لأنه أريد به التقدير, فصار كقولهم: ما في السماء قدرُ راحة سحابا؛ لأنه لما قال: داري خلف دارك أبهَم, فلم يَدرِ ما قدّر, فقال: فرسخا وذراعا وميلا. فإذا جعلتَ فرسخين خبرا ألغيتَ الظرفَ كما ألغيتَ (فيها) عند الإخبار عن قيام زيد,فتقول: زيدٌ قائم فيها (٩٢).

ومراد سيبويه أنّ(خلف) قد نصب؛ لأنه وقع خبرا للدار, وقد تضمّن معنى الاستقرار, فصار الكلام يعمل بعضه في بعض, أي أنّ الابتداء قد عمل في الخبر.

أمّا انتصاب (فرسخا)فعلى التمييز؛ لأنه لما قال: داري خلفَ دارِك ,أبهم على المخاطب, لم يَدرِ مقدار الخلف كم هو, فأزال الإبهام بقوله: فرسخا كما أُزيل الإبهام في قوله: له عشرون بالدرهم, حيث قال : له عشرون درهما .

ويحتمل الكلام وجها آخريتمثل بإلغاء الظرف, تقول: داري خلفَ دارِك فرسخان

فالفرسخ أصبح خبرا بعد أن كان تمييزا, وأُلغي الظرف؛ لأنه لم يُعدّ مستقرا يُبنى

عليه الخبر, بعد أن حَلّ محله الفرسخُ لذا صحّ الإلغاء. فألغى سيبويه (خلف) حملا على (فيها)؛لإنّها لم تُعدّ مُستقرا يُبنى عليها المبتدأ, فيُتَمُّ بهما المعنى, وقد يدخل حرف الجرِّ على ظرف المكان,ويبقى الإلغاء ممكنا, وصالحا.

وأصبحتْ مسألةً نصب الخبر محلَّ خلافٍ بين النحويين, إذ يرى الكوفيون أن الظرف منصوب على الخلاف. ويعنونَ بالخلاف: أنّ الخبر إذا كان هو المبتدأ ارتفع ارتفاعه. أمّا إذا كان مُخالفا له نحو زيدٌ عندك, فإنه ينتصب بخلاف الأوّل؛ لأنّ زيدا ليس إياه . وذهب البصريون إلى أن الخبر إذا وقع ظرفا, أو جارا ومجرورا نحو زيدٌ في الدار, وبكرٌ خلفك, انتصب بفعل, والظرف حينئذٍ ليس بخبر على الحقيقة؛ لأن الدار ليست من زيد في شيء, وانما الظرف معمول للخبر, ونائب عنه, والتقدير: زيدٌ استقرَّ أمامك, وعمرو حلّ خلفك(٠٣).أمّا المسألة عند سيبويه, فإنّ الخبر إمّا أن يكون هو هو, أو ليس هو(١٣).

ثانيا: اللغو مع نواسخ الابتداء

احتلّ اللغو مع النواسخ مساحةً واسعة من الاستعمال اللغوي, يجد المتتبعُ لهذا النمط تراكيبَ مُتنوعة, من حيث العمل, والمعنى,

وتمثلت هذه النواسخ بـ:

أ- كان

تدخل كان في الأصل على جملة ابتدائية من مبتدأ وخبر, ولا يتم لها معنى إلّا بانضمام المنصوب إلى المرفوع, لكن قد يلغى أحد مدخوليها إذا كان ظرفا ,وقد عبّر سيبويه عن ذلك بقوله :((وتقول: ما كان فيها أحدٌ خيرٌ منك، وما كان أحدٌ مثلُك فيها ,..., إذا جعلت فيها مستقراً, ولم تجعله على قولك (فيها زيدٌ قائمٌ)، أجريتَ الصفة على الاسم.

فإن جعلته على قولك(فيها زيدٌ قائمٌ)نصبتَ, تقول:(ما كان فيها أحدٌ خيراً منك)و(ما كان أحدٌ خيراً منك فيها)إلّاأنك إذا أردتَ الإلغاء فكلّما أخّرتَ الذي تلغيه كان أحسن. وإذا أردت أن يكون مستقراً تكتفي به, فكلما قدمته كان أحسن ،لأنه إذا كان عاملاً فيشيء قدّمته كما تقدم أظنّ وأحسب، وإذا ألغيت أخرته كما تؤخرهما، لأنهما ليسا يعملان شيئاً))(٢٣). فقولك:(ما كان فيها أحدٌ خيرٌ منك),فإن (فيها) ملغاة؛ لأنها لم تكن خبرا,(أحد) اسم كان, و(خيرا منك) خبرها, وفيها من صلة (خيرا منك), وهو ظرف للخبر,واذا كان الظرف أو حرف الجرّ غير خبر, وكان من صلة الخبر سمّاه ملغًى ؛ لأنه يُستغنى عنه إذا كان الخبر في غيره (٣٣). ولم يُستحسَن تقديم الظرف إذا كان لغوا؛ لأنه فضلة, فلا يهتم به نحو كان زيدٌ جالسا عندك، وأمّا قوله تعالى: (ولم يكن له كفوا أحد)، فإنما قدِّم اللغو فيه؛ لأنه معقِد الفائدة، إذ ليس الغرض نفي الكُفء مطلقا، بل نفي الكفء له تعالى، فقُدّم اهتماما؛ لأنه هو المقصود معنى، ورعاية للفواصل لفظا (٤٣).

ب ـ ما دام

مِنَ النواسخ الأخرى التي يجري معها الإلغاء,والإعمال (مادام), فقد يُلغى الظرف معها, وقد يكون لها خبر كقولك: سأصبرُ ما دامَ في النّفسِ رمقٌ باقيا. فيَجري عليها ما جرى على أخواتها من أحكام التقديم, والتأخير, والاستقرار والإلغاء؛ لأنّ التقديم, والتأخير, والإلغاء, والاستقرار عربيٌّ جيدٌ, وممّا ورد من اللغو متقدما قول سيبويه : ((وقال الشاعر:

لَتَقربُنَّ قَرَباً جُلْذِيا

ما دام فيهُنَّ فصيلٌ حيا

فقد دَجا الليلُ فهِيَّا هِيَّا))(٥٣).

ومحلّ ((الشاهد في هذا أنه قدّم الظرف (فيهنّ فصيل) وجعله لغوا؛ لأنه جعل (فصيل) اسم مادام, و(حيّا) خبره. وممّا سوّغ أيضا التقديم , أنك لو حذفتَ (فيهنّ)

ومحلّ ((الشاهد في هذا أنه قدّم الظرف (فيهنّ فصيل) وجعله لغوا ؛ لأنه جعل (فصيل) اسم مادام , و(حيّا) خبره . وممّا سوّغ أيضا التقديم أنك لو حذفتَ (فيهنّ) انقلب المعنى ؛ لأنك إذا قلتَ: ما دام فصيلٌ حيّا , فالمراد (أبدا) , كما تقول: ما طلعتْ شمسٌ ,وما ناح قمري))(٦٣).

فإذا قدّمتَ الظرف ,أو أخّرتَه ,أو جعلتَه خبرا مستقرا أو لغوا , فإنّ كلَّ ذلك عربيّ جيد ,وكثير الاستعمال. ولا يمكن الاستغناء عن اللغو من جهةِ المعنى لا من جهة الإعراب. إذ قال المبرد (ت٥٨٢هـ): ((قال الراجز: لتقربُنَّ قرباً جلذياً ما دام فيهنَّ فصيلٌ حياً فقد أفادك معنىً بقوله (فيهنَّ) . ولو حذف (فيهنَّ) لكان ههنا معنى آخر، وهو معنى الأبد كقولك: لا أكلمك ما طارَ طائرٌ))(٧٣).

فلو حُذِفتْ (فيهنّ) من الشاهد لكان مستقيما من جهة الإعراب ,لوجود خبر يُقوم بوظيفة الإسناد ,ولكنّ حذفها يَضرّ بالمعنى, فيكون الشاهد مفتوحا على معانٍ عدة , إذ يحتمل معنى الاستقرار, أو الأبدية. وذِكرُ(فيهنّ) يَدفع هذه الاحتمالاتِ, ولا يبقى إلا الاستقرار.

ج - إنّ

مِن نواسخِ الابتداء التي يجوز أن يُلغى أحد مدخوليها, ولها مجال تداوليّ واسعٌ, قال سيبويه: ((وتقول: إنّ فيها زيداً قائماً، وإنْ شئتَ رفعتَ على إلغاء فيها، وإنْ شئتَ قلتَ: إنّ زيداً فيها قائماً وقائمٌ. وتفسير نصبُ القائم ههنا ورفعه كتفسيره في الابتداء، وعبد الله ينتصب بأن كما أرتفع ثَمَّ بالابتداء، إلا أنّ فيها ههنا بمنزلة هذا في أنّه يَستغني على ما بعدها السكوت، وتقع موقعه. وليست فيها بنفس عبد الله كما كان هذا نفسَ عبد الله، وإنّما هي ظرفٌ لا تعمل فيها إنّ بمنزلة خلفَك، وإنّما انتصب خلفك بالذي فيه (٨٣).

والظرف إذا استغنى به الاسم حسُن السكوت عليه, وهو الذي يَنصب الظرف في خبر(إنّ) كما نصبه في خبر الابتداء, وجواز الحال. والظرف موقعه اسم؛ لأنّ قولنا: إنّ زيدا خلفك, موقعه موقع إنّ زيدا مستقرٌ, وإنّ كان

إعرابه يخالف إعرابه, وتقول: إنّ بك زيدا مأخوذٌ, وإنّ لك زيدا واقفٌ من قبل أنّك إذا أردتَ الوقوف, والأخذ لم يكنْ بك ولا لك مستقرين, ولا موضعين, فلا يُستغنى على زيد إذا قلتَ لك زيدٌ, وأنت تريد الوقوف, ومثل ذلك أن فيك زيدا راغبٌ (39).

المبحث الثاني
اللغو مع الأفعال

تُعد الافعال القسم الآخر المتمم للإسناد مع الاسم ,وللفعل دلالتانِ دلالة على المعنى ,ودلالة على الزمن .ورغم ذلك يرد لغوا للتعبير عمّا يختلج نفس المتكلم أو يهجس فيها من شكّ أو يقين. وتنقسم الأفعال الملغاة على قسمين:

1ـ أفعال الشك, ومن هذه الأفعال:

أ ـ ظنَّ:

لظنّ معانٍ مختلفة , منها: أن تكون بمعنى اتُّهم, قال سيبويه: ((وقد يَجوز أنْ تقولَ: ظننتُ زيداً ، إذا قال: مَنْ تَظَنّ، أي: مَنْ تَتَّهم ؟ فتقول: ظننت زيداً، كأنه قال: اتهمت زيداً. وعلى هذا قِيل:ظنين, أي: مُتّهم)) (40) .

فإذا كانت ظننتُ بمعنى اتهمتُ تعدّى هذا الفعل إلى مفعولٍ واحد كقولك : ظننتُ زيدا, فلم يقتصروا على مفعول واحد, فاتسعوا فيها؛ لأنّها الأكثر دورا في ألسنتهم, ولها أكثرُ من استعمال (41).

وذكرتَ الأوّل لتُعلِمَ الذي تُضيفُ إليه ما استقر له عندك من هو . فإنما ولايجوزِ الاقتصارعلى أحد مفعولي (ظنّ), وعلّل سيبويه ذلك بقوله:)) وإنّما منعك أن تقتصر على أحد المفعولين ههنا أنك إنما أردتَ أن تبينَ

ما استقرَ عندك من حال المفعول الأول، يقيناً كان أو شكاً، ذكرتَ ظننتُ ونحوه لتجعلَ خبرَ المفعول الأوّلِ يقيناً أو شكاً، ولم ترد أن تجعلَ الأوّلَ فيه الشك أو تقيم عليه في اليقين))(42). ولم تكن نظرة

سيبويه إلى مسألة الاقتصار على أحد مفعولي ظنّ وفق الضوابط النحويةالصارمة طبقا لما يقتضيه العامل النحوي وإنما نظر إليها وفق ما تقتضيه الوظيفة التواصلية للغة في بُعدها التداولي, بالاعتماد على قصد المتكلم, والمخاطب, والحال المعرفية لهما, والفائدة المرجوة من العملية االتخاطبية في الاحتياج إلى المفعولين, فإذا قال المتكلم: ظننت زيدا, ففعل الشك لم يكن واقعا على ذات زيد, فإذا قال: منطلقا, ففيه وقع الشك. وإنما صار الاعتماد المؤدي إلىالفائدة في هذه الإفعال على المفعول الثاني؛ لأنه الجزء الذي يفيد المخاطَب أمرا قد كان يجهله, ومن ثمَّ فهو الجزء المتمّم للفائدة من العملية التواصلية بالنسبة للمخاطب(43).

فإعمال هذه الأفعال, أوإلغاؤها لايُحدّده موضع , أو موقع الفعل, ولا عمل عامل, وإنما يحدده قصد المتكلم ونيته لا غير؛ إذ إنّ هذه الأفعال متعلقة بهواجس النفس لا يؤديها إلّا متكلمها, ومن ثَمَّ فإنّ الحركة الإعرابية تأتي بيانا للمعنى الذي كان المتكلم يقصده (44).

ب ـ خَال

خال من الأفعال التي نصّ سيبويه على إلغائها, فقال: ((وهذا إخالُ أخوك,..., وقال اللّعينُ يهجو العجّاجَ:

أبالأراجيزِ يا ابنَ اللؤمِ تُوعِدُنِي وفي الأراجيزِ خِلتُ اللؤمُ والخورُ

أنشدناه يُونسُ مرفوعاً عنهم))(45).

فـ(خال) قد نصب مفعولين أصلهما مبتدأ, وخبر, وقد جاز فيه الإلغاء والإعمال, لأنه إذا توسّط الفعل بين الاسم والخبر صار الفعل كالفضلة ,وضعف الفعل إذا توسط, أو تأخر. واللؤم مرفوع بالابتداء, والخور معطوف عليه وفي الأراجيز هو الخبر, وخلت ملغي, وهو بمنزلة قولك: فيها أرى أبوك (46).

وتأتي خال بمعنى الظنّ, جاء في الكتاب: ((وقد يجوز أن تقول: ظننتُ زيداً، إذا قال: من تظن، أي من تتهم ؟ ...,, ولم يجعلوا ذاك في ...,, خِلتُ , ...؛ لأنّ من كلامهم أنْ يدخلوا المعنى في الشيءِ لا يَدخلُ في مثله))(٧٤).

وخلتُ كأفعال الظنّ يدخلان على مبتدأ وخبر((بمنزلة كان، إنّما يدخلان على المبتدأ والمبني عليه، فيكونان في الاحتياج على حال. ألا ترى أنك لا تقتصر على الاسم الذي يقع بعدهما كما لا تقتصر عليه مبتدأ. والمنصوبان بعد حسبتُ بمنزلة المرفوع والمنصوب بعد ليس وكان. وكذلك الحروف التي بمنزلة حسبتُ وكان؛ لأنهما إنما يجعلان المبتدأ والمبني عليه فيما مضى,..., شكّاً))(٨٤).

وليست الأفعال المتعديّة بمرتبة واحدة ,فمنها ما يتعدّى لمفعولين يُخبر بأحدهما عن الآخر, ومنها ما يتعدّى لمفعولين لا يُخبر بأحدهما عن الآخر. أمّا الأفعال التي تتعدّى ((إلى مفعولين ولك أن تقتصر على أحدهما. وذلك قولك: أعطيت زيدا درهما، وكسوت زيدا ثوبا، وألبست زيدا جبة. ومنها ما يتعدى إلى مفعولين ,وليس لك أن تقتصر على أحدهما وذلك نحو : ...,, خلتُ عبد الله يقوم في حاجتك. والفصل بين هذا, والأوّل أن الأوّل فعل حقيقي يقع مفعولاه مختلفين . تقول: أعطيت زيدا، فتخبر أنه كان منك عطاءٌ، وإن شئت أن تذكره بعد ذكرته.

فأما قولك: ظننتُ زيدا فلا يستقيم ؛ لأن الشك إنّما وقع في المفعول الثاني. فالثاني خبر عن الأوّل،.... إلا أن تريد بظننتُ: اتّهمت))(49).

والسبب الذي أدّى إلى عدم اقتصارها على أحد المفعولين هو ((أنها ليست أفعالاً وصلتْ منك إلى غيرك، إنما هو ابتداء وخبر. فإذا قلت: ظننتُ زيدا منطلقاً , فإنما معناه: زيدٌ منطلقٌ في ظنّي، فكما لا بد للابتداء من خبر كذا لا بد من مفعولها الثاني ؛لأنه خبر الابتداء، وهو الذي تعتمد عليه بالعلم, والشّكّ))(50).

2ـ أفعال اليقين,ومن الأفعال التي تنسخ الابتداء, والتي يمكن إلغاؤها:

أ ـ رأى

من الأفعال التي تعمل النصب في مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر قال سيبويه: ((ومِثْلُ ذلك: رأى عبدُ الله زيداً صاحبَنا)) (51), ويمكن أن يُلغى من الكلام, وقد مثّل سيبويه لإلغاء هذا الفعل بقوله: ((أينَ تَرَى زيدٌ)) (52).

وهذه الأفعال تدخل على جمل هي أسماء وأخبار قد كانت قائمة بنفسها, فيحدث اليقين في أخبارها,

فإذا تقدم الفعل عمل النصب في الاسم الخبر على الأحسن عند سيبويه نحو رأيتُ زيدا مخلصا. إما إذا توسّط الفعل, أو تأخّر جاز إلغاؤه نحو زيدٌ رأيتُ مخلصٌ, وزيدٌ مخلصٌ رأيتُ (53).

وقد ذكر سيبويه لهذا الفعل معنيان, قال في باب الفاعل الذي يتعدّاه فعلُه إلى مفعولين: ((وإنْ قلتَ:رأيتُ, فأردتَ رؤية العين،...، فهو بمنزلة ضربتُ))(٤٥). و(رأيت) هنا بمعنى رؤية البصر, فيتعدّى إلى مفعول واحد, فلا يكون من أفعال اليقين حينئذ. وإذا أردتَ بـ(رأيتُ) رؤية القلب, تعدّى إلى مفعولين, وإذا أردتَ به رؤية العين كان بمنزلة (أبصرتُ), فيتعدّى إلى مفعول واحد كقولك: رأيتُ زيدا, أي: أبصرته , ولو قلت: رأيتُ زيدا قائما ,من رؤية العين ,انتصب(قائما) على الحال ,وليس على اعتباره مفعولا ثانيا لـ(رأيتُ)(55).

ب ـ علم

مِنَ الأفعال التي أجاز سيبويه إعمالها وإلغاءها في الكتاب (علم) نحوقولك:

علمتُ زيداً الظريفَ, و زيدٌ الظريفُ علمتُ. والإلغاء جارٍ معه , كما جرى ذلك مع سائر أفعال اليقين ,والشّكّ (٦٥).

فللفعل(علمتُ) معنيينِ مختلفانِ, بينهما سيبويه بقوله: في ((باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين وليس لك أن تقتصرعلى أحد المفعولين دون الآخر

وذلك قولك: ...., علمت زيداً الظريف.

وأمّا (علمتُ) ففيها مذهبانِ: وقد يكون (علمتُ) بمنزلة (عرفتُ) لا تريد إلا عِلمَ الأوّل. فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ ولَقد عَلمتُم الذينَ اعتَدوا مِنكُم في السَّبتِ ﴾(57), وقال سبحانه : ﴿ وآخرينَ من دونِهم لا تَعلمُونَهُم اللهُ يَعلمُهُم ﴾ (58), فهي ههنا بمنزلة (عرفتُ) كما كانت (رأيتُ) على وجهينِ))(59).

وهذا الفعل من ((الأفعال الداخلة على الابتداء والخبر وإنّما تنبىء عن الفاعل بما هجس في نفسه أو تيقنه غيرَ مؤثرة بمفعول ولكن أخبار الفاعل بما وقع عنده نحو : ظننتُ زيدا أخاك ,وعلمتُ زيداً خير الناس))(60).

وإنّما منعك أن تقتصر على أحد المفعولين هو أنك أردتَ أن تبينَ ما استقرَ عندك من حال المفعول الأول، إذا كان يقيناً ، وذكرتَ الأوّل لتُعلِمَ الذي تُضيفُ إليه ما استقر له عندك من هو . فإنما ذكرتَ علمتُ ونحوه لتجعلَ خبرَ المفعول الأوّلِ يقيناً ، ولم ترد أن تجعلَ الأوّلَ فيه اليقين . ومثل ذلك : علمتُ زيداً الظريفَ (61).

- المبحث الثالث
- اللغو في الأدوات و الحروف

يُمثّل الحرف, والأداة ركيزةً أساسية من ركائز نقلِ المعنى الذي يُريد المتكلم التعبيرَعنه؛ فهو ليس مجرد أداة صماء, وإنما هو وعاء يَحوي معانٍ لا تُفهم إلّا عند ارتباطها مع غيرها بنظام يوجّهَه المتكلِّم الاتِّجاهَ الصحيح؛ لِيتحقّقَ الإبلاغُ , والبيان .

وقد يبدو ما يَخْرم هذا النظام ,ويقطع الارتباط حينما تأتي حروف ,وأدوات لغوا لفوائدَ كثيرة, أمّا معنوية: كتقوية المعنى, و تأكيده, أو لفظية(62).

أولا: إلغاء (ما)

يمثّل إلغاء الحروف بُعدا تداوليا مُهمّا؛ يضفي من خلاله المتكلم معاني للكلام لاغنى عنها. وثمة صور تعبيرية متنوعة بحَسب قصدِ المتكلم,ومن مجالات إلغاء (ما) ما يلي:

أ- اللغو مع الأحرف المشبهة بالفعل

تُلغى (ما) إذا رُكبت مع (إنّ) وسائرأخواتها,وأوّل هذه الحروف:

1- إنّ وأنّ

قال سيبويه: ((وسألتُ الخليل عن إنَّما وأنَّما وكأنّما ,...., فقال: هنَّ حكايات ؛ لأنّ ما هذه لم تُجعل بمنزلة (مَوْتَ) في (حَضْرَموت), ..., وإنّما تدخل لتمنع أنْ من النصب, ... , فجاءت مُغيرة ,ولم تجيء كمَوْتَ في (حَضْرَ)))(٣٦).

فإنّ اتصال(ما) بـ(إنّ) ألغى عملها, قال سيبويه: ((فأمّا إنما فلا تكون اسما وانما هي فيما زعم الخليل بمنزلة فعل مُلغى مثل: (أشهدُ لَزيدٌ خيرٌ منك),لأنها لاتعمل فيما بعدها ولا تكون إلا مبتدأة)) (٤٦).

فالخليل قاس (إنّ) العاملة على الفعل العامل؛لأنها ترفع, وتنصب كالأفعال, وقاسها في الإهمال كذلك على الفعل

الذي لا يعمل,ودليله في ذلك (أرى)عندما تلغى.

والحقيقة أنّ التعبير بإنّ غير التعبير بإنّما, فـ(إنّما) تَجيء لخبر لا يجهله المخاطب، ولا يدفع صحته، أو لمَا يُنزل هذه المنزلة, وتفسير ذلك أنك تقول للرجل: إنما هو أخوك، وإنّما هو صاحبك القديم، لا تقوله لمَنْ يجهلُ ذلك، ويدفع صحته، ولكن تقوله لمَن يعلمه ويقرّ به. إلّا أنك تريد أن تنبِّهه للذي يجب عليه من حقِّ الأخ ,وحرمة الصاحب(٥٦).

٢- كأنّ

وترد كأنّ لغوا إذا اتصلت بها (ما), فتمنعها عن العمل, قال سيبويه :((جعلوا (ما) و(ذا) اسماً واحداً، كما جعلوا (ما) و(إنّ) حرفاً واحداً حين قالوا: (إنما).و مِثل ذلك (كأنّما)))(٦٦),فالتركيب يمكن أن يحصل مع الأسماء نحو (ماذا), أو الحروف نحو(كأنما). وتركيبها يُغيِّر عملها, ومعناها, قال سيبويه: ((وقد تغيِّر الحرفَ حتى يصيرَ يعمل لمجيئها غير عمله الذي كان قبل أن تجيء, وذلك نحو قوله: إنّما, وكأنّما, ولعلّما: جعلتهنّ بمنزلة حروف الابتداء))(٧٦). وتلحق (ما)بـ(إنّ وأنّ) فتكفهما عن, العمل كذلك تلحق (كأنّ) فتكفّها عن العمل, فلا تنصب الاسم وترفع وإنّما يُرفع الاسم بعدها بالابتداء.فاتصال (ما) بـ(كأنّ) يُولِّد

معانٍ متعددة ينبغي أن يُستعمل كلٌّ معنى بحسب الغرض المقصود,فلو كان غرض المتكلم

- المتكلم قصر المشبه بصفة من الصفات اقتضى ذلك (كأنّ),وإنْ كانت عنايته بحالته الفعلية استدعى دخول (كأنّ) على الجملة الفعلية. فنجد كلاما قد تظافر فيه الشكل, والمعنى في نقل المعنى المناسب من دون زيادة, أو نقص .
- **٣ـ لعلّ وليت**
- لعلّ حرف يُفيد التّرجي(٨٦), قال سيبويه, والحديث عن (ما): ((أمّا لعلّما فهو بمنزلة كأنما. وقال الشاعر، وهو ابن كُراع(٩٦):
- تحلّلْ وعالجْ ذاتَ نفسك وانظُرَنْ أبا جُعَلٍ لعلّما أنت حالِمُ))(٠٧)
- والشاهد إلغاء (لعل) ؛ لأنّها جعلت مع (ما) من حروف الابتداء .
- أما لعلّ, فلا يختلف أمرُها عن باقي أخواتها حين تتصل بها (ما), إذ يكون لها وجهان الوجه الأول, وهوالذي ذكره سيبويه أن تجعل (ما) كافة للعامل مثل: إنما زيدٌ منطلقٌ ,وليست باسم, ولعلما بمنزلة كأنما, وجعل ما كافة يغير معناها؛ لأنك إذا قلت: إنما زيدٌ بزازٌ, فأنت تقلّل مِن أمره, وكأنك تسلبه ما يدعي له غير البز(١٧).

يَعرض سيبويه لنمطينِ من الكلام في حال اتصال ما بليت مفسرا لهما النّمط الأوّل : أن تجعل ما بمنزلة الاسم الموصول (الذي) كأنه قالَ: ألا ليتَ الذي هو لنا, و كذلك مثلا الذي هو بعوضةٌ. والنمط الثاني: أن تكون ما كافّة لليت عن عملها بما بعدها مثل: إنما زيدٌ منطلقٌ (٢٧).

ب- اللغو مع أدوات الشرط

ترد (ما) كثيرا معترضة بين فعل الشرط وجوابه,لتؤدي معان لايمكن أن تؤدى إلّا بوجودها, وأبرز المظان التي تأتي فيها (ما) مع أدوات الشرط ,وهي كالآتي:

١ـ مهما

يرى سيبويه أنّ (ما) لغوٌ من قولك: (مهما),قال: ((وسألتُ الخليل عن مَهْمَا, فقال:هي ما أُدخلت معها ما لغوا,بمنزلتها مع متى إذا قلت: متى ما تأتِني آتِك)) (٣٧). وفي أصل (مهما) رأيانِ ذكرهما سيبويه, الأول: أنّ (ما) الأولى أداة شرط ,والثانية لغو, وهو رأي الخليل, والثاني: أنّ أصلها (مه) زِيدَ عليها بـ(ما) كـ(إذ) ضمّتْ إليها (ما),وهو رأي منسوب إلى الكوفيين, وأبي إسحاق الزجاج (٤٧), وأجازه سيبويه. ورجّح الأوّل منهما؛ لأنّهم ((استقبحوا أن يكرّروا لفظا واحدا , فيقولوا : ماما , فأبدلوا الهاء من الألف التي في الأولى . وقد يجوز أن يكونَ مَهْ كإذْ ضُمَّ إليها ما))(٥٧).

فإنّ (ما) تتركب مع جميع أدوات الشرط ؛ لكراهة اجتماع المثلينِ, ومِن أدوات الشرط التي تَركبتْ معها ما (مهما), وأصلها (ما) زِيدت عليها (ما), ثُم حذفت ميمُ الأولى, فأبدلتِ الألف الأَولى هاءً؛ لأن الألف, والهاء من مخرج واحد, وهو أقصا الحلق, إذ يجوز أن تبدل الحروف إنْ كانت من نفس المخرج؛ لذلك قِيست مهما على جميع الأدوات, فاعتبروا أنّ أصلها ما, ومِن ثَمّ ((ضُمّتْ إليها (مَا), وأبدلوا الألف الأولى هاءً,ولما فعلوا ذلك صار فيها معنى المبالغة والتأكيد, فكأنَّ القائل إذا قال: مهما تفعلْ أفعلْ فقد قال: لا أصغرُ عن كبير من فعلكَ ولا أكبرُ عن صغيرٍ, أو ما أشبه هذا المعنى))(٦٧).

٢ـ متى ما

قال سيبويه:((وسألت الخليل عن (مهما) فقال هي: (ما) أدخلت معها (ما) لغوا,بمنزلتها مع (متى)إذا قلت:(متى ما تأتِني آتِك)))(٧٧).

فـ(ما) لغوٌ رُكبتْ مع (متى) كما أن (ما) لغو مع (مهما) , فحُملت (ما) من قولك : (متى ما تزرني أكرمك) على(ما) من قولك :(مهما تفعلْ تُجزَ به) وعلى باقي أخواتها من الجوازم ممن اتصلت بهنّ(ما).

قال سيبويه : ((وسَمِعناهم يُنْشِدون قولَ العُجَيْر السّلوليّ(٨٧):
وما ذاك أنْ كان ابنَ عَمِّي ولاأخي
ولكنْ مَتى ما أملِكِ الضرَّ أنفَعُ
والقوافي مرفوعة كأنه قال: (ولكن أنفعُ متى ما أملكِ الضرَّ)ويكون أملكْ على (متى) في موضع جزاءٍ و(ما) لغو،ولم يجد سبيلاً إلى أن يكون بمنزلة (مَنْ) فتوصل,ولكنّها كمهما))(٩٧).

٣ –أيّ ما

فإذا جاءت أيّ أداة شرط جزمت فعلين الأول فعل الشرط, والثاني جواب له, وتتصل بها ما, قال سيبويه: ((وسألتُ الخليلَ عن مَهْمَا فقال: هي ما أدخلت معها ما لغوا,...,وبمنزلتها مع أيّ إذا قُلت:﴿أيّاما تَدعُوا فَله الأسْمَاء الحُسْنَى﴾(٠٨))) (١٨)

فإنّ (أيّ) أداة شرط إنْ تُركب معها (ما) كما هو الحال مع (مهما) , فـ(ما) لغوٌ لَحِقت (أي), وقد حكم على (ما) مع (أي) بأنها لغو حملا على (ما) مع (مهما) , وقد استند سيبويه في حكمه هذا إلى القرآن الكريم, حيث جاءت (ما) لغوا مع الأداة (أيّ), والقرآن الكريم نزلَ بلغة العرب. و عليه,فـ((زيادة (ما) فيها مختصّة بحال الشرطية))(٢٨). وهي أكثرُهنّ إبهاما ؛إذ هي بحسب ما تُضاف إليه, تقول: أيّ رجل تكرم أكرمْ, وأيّ كتاب تأخذ آخذ وأيّ وقت تسافرأسافرْ,وإذا ما اتصلت بها (ما) زادتها غموضاً (٣٨).

ج– بين الجاروالمجرور

ترد (ما) لغوا في عدد من التراكيب مُقحمةً بين حرف الجر, والاسم المجرور مع عدد من حروف الجرّ لفوائد كثيرة, ومن هذه الحروف:

١ـ الباء عد سيبويه (ما) لغوا إذا دخلتْ بين الجار والمجرور, وقد تخطّى الجار (ما) إلى المجرور, وعَمَلَ فيه الجرّ, وقد مَثّل لها بقوله تعالى:﴿ فبما نَقضِهم مِيثَاقهم﴾ (٤٨), قال:))وهي لغوٌ في أنّها لم تُحدِثْ إذ جَاءَتْ شَيئاً لم يَكن قَبل أن تَجِيءَ مِنَ العملِ، وهي توكيدٌ للكلام))(٥٨) .

يذكر سيبويه جانبا مُهمّا لرؤيته في اللغو ألا وهي: عدم التّأثير في ما دخلتْ عليه, وهذا واضح من قوله: ((وهي لغوٌ في أنّها لم تُحدث إذ جاءَت شيئاً...)) حيث ذكرَ ههنا بُعدا من أبعاد هذا المفهوم, وهو عدم التأثير, مع احتفاضها بالمحتوى الدلالي,وهو التوكيد؛ لأنّ ((التوكيدَ معنى صحيحٌ))(٦٨).

ودليل سيبويه على أنّ (ما) تَزيد الكلام توكيدا قوله: ((ليس لـ(ما) معنى سوى ما كان قبل أن تَجيء إلا التوكيد، فمن ثم جاز ذلك، إذ لم ترد به أكثر من هذا، وكانا حرفين أحدهما في الآخرعامل. ولو كان اسماً أو ظرفاً أو فعلاً لم يجز))(٧٨)إنما جاز الفصل بين الباء, ونقضهم بـ(ما)؛ لأنّ (ما) لا تغير الكلام,ولا تَزيد فيه معنى إلّا التوكيد,وقوله: وكانا حرفين أحدُهما في الآخرعامل)يعني لم يدخل بين الباء ونقضهم شيءٌ يُعْتدّ به(٨٨).

٢ـ رُبّ

وتُلغى في الكلام إذا اتصلت بها (ما), قال سيبويه: ((ومن تلك الحروف: ربمّا وقلّما وأشباههما جعلوا (ربَّ) مع (ما) بمنزلة كلمة واحدة ، و هيئوها ليذكر بعدها الفعل , لأنّهم لم يكن لهم سبيل إلى (ربَّ يقولُ) ، ولا إلى (قلَّ يقول)، فألحقوهما (ما) وأخلصوهما للفعل))(٩٨) .

من الحروف التي تتركب معها ما (ربّ) فتصير معها كالكلمة الواحدة , فتتوسع وظيفتها فيمكنها حينئذ الدخول على الأفعال بعد اختصاصها في جرّ الأسماء النكرة مع احتفاظها بوظيفتها الأصلية .

و(ربّ) حرف جرّ تتصل به (ما), فتغير معناه , فإذا اتصلت به (ما) تهيّأ الحرف في الدخول على ما لا يصلح أن يدخل عليه , فلا يُقال : (رُبَّ يقول) إلّا بإضافة (ما) إليها (٠٩).

٤ـ مِنْ

قال سيبويه: ((وإنْ شئتَ قلتَ: (إنّي مِمّا أفعلُ), فتكون (ما) مع (من) بمنزلة كلمة واحدة نحو (ربمَّا). قال أبو حيّة النميّري:

وانّا لَممَّا نَضربُ الكبشَ ضربةً
عَلى رأسه تَلقى اللسانَ مِن الفمِ))(١٩). والشاهد فيه أنّ (مِن) الجارة لما رُكبتْ مع (ما) كفُّت عن العمل,وتغيّر معناهاوصارت بمعنى (رُبَّما) مفيدةً للتكثير. وقيل: إنّ مراد سيبويه من قوله: (لَممّا) إما أن يكون (ما) الكافة لـ(مِن) كما كفّت (ربّ), أو التقليل كـ(ربّما), ولكن يبعد ذلك في البيت, فإنه ينبغي أن يكون غيرَ مُقللٍ لضربه الكبش, وانما هذا على مذهب مَن يرى أنّ ربّ, وربّما لا تفيدان إلّا القلة(٢٩).

فلا يمكن أن تكون (ممّا) هنا إلا بمعنى التكثير,ومعنى التكثيرغير بعيد؛ لأنّ السياق سياق مدح, وافتخار, ولا يكونان في إلا التكثير. واتصال ما بـ(مِن) ساعد على دخولهاعلى الفعل, ليفيدَ استمرارية وقوع حدث الضرب, وهذا المعنى يتلاءَم مع التكثير.

ثانيا:إلغاء حروف أخرى

ثمةَ حروف التي تستعمل ملغاة في تراكيب غير قليلة لتعطي معانٍ مختلفة, منها:

الهمزة

ترد الهمزة لغوا, لاتغيّرعمل ما دخلت عليه سواء أكان ما بعدها مرفوعا ,أم منصوبا ,أم مجرورا, جاء في الكتاب: ((ألا ترى أنها تدخل على المجرور,والمنصوب والمرفوع, فتدعه على حاله ولا تغيّره عن لفظ المستفهم. ألا ترى أنه يقول: مررت بزيدٍ فتقول: أزيد إن شئت قلت أزيدنيه، وكذلك تقول في النصب والرفع؛ وإن شئت أدخلتها على كلام المخبر ولم تحذف منه شيئاً، وذلك إذا قال: مررت بزيدٍ قلت: أمررت بزيد. ولا يجوز ذلك في هل وأخواتها. ولو قلت: هل مررتَ بزيدٍ كنتَ مستأنفا.ألا ترى أنّ الألف لغو, فإن قيل: فإنّ الألف لابُدّ لها من أن تكون معتمدة على شيء , فإنّ هذا الكلام معتمَدٌ لها كما تكون صلةً للذي إذا قلت: الذي إنْ تأتِه ياتِك زيدٌ . فهذا كلُّه وصلٌ))(٣٩).

٢ – إذاً

وهي حرف جواب وجزاء (٤٩), تعمل النصب في الفعل المضارع إنْ كان دالا على الاستقبال, بشرط تصدرها, وعدم الفصل بينها وبين معمولها بفاصل غير القسم قال سيبويه :((اعلم أنّ إذن إذا كانت جواباً و كانت مبتدأةً عملت في الفعل عمل رأى في الاسم إذا كانت مبتدأةً . وذلك قولك : إذن أجيئَك ,...., ولا تَفصلُ بين شئ مما يَنصبُ الفعل , وبين الفعل سوى إذن؛ لأنّ إذن أشبهتْ أُرى، فهي في الأفعال بمنزلة أرى في الأسماء , وهي تُلغى وتُقدّم وتُؤخّر، فلمّا تَصرّفتْ هذا التصرّفَ اجترؤا على أن يفصلوا بينها وبين الفعل باليمين))(٥٩).

وثمة موضع تُلغى فيه (إذن) إذا وقعتْ بين الفعل, وبين شيء الفعلُ يعتمد عليه كأن يكون مبتدأ أو أداة شرط, أو غيرهما, فلا هذه الحالة لاتنصب (إذن) مطللقا ,

قال سيبويه: ((واعلم أنّ إذن إذا كانت بين الفعل, وبين شئ الفعل معتمِدٌ عليه فإنّها ملغاة لا تَنصب البتّةَ كما لا تَنصب أرى إذا كانت بين الفعل والاسم في قولك كان أرى زيد ذاهباً،وكما لا تعمل في قولك: إنّي أرى ذاهب. فإذن لا تَصل في ذا الموضع إلى أن تَنصب كما لا تَصل أُرى هنا إلى أن تنصب. فهذا تفسير الخليل, وذلك قولك:أنا إذنْ آتيك هي ههنا بمنزلة أرى حيث لا تكون إلاّ مُلغاةً))(٦٩). والسبب في ذلك هو((أنّ ما بعد إذن معتمِدٌ على ما قبلها في العمل ,وما قبلها محتاج إلى ما بعدها, وهي لا تعمل إلا مبتدأة,ولا يصح أن تقدر مبتدأة لاعتماد ما بعدها على قبلها, وكانت مما قد يلغى في حال فألغيت))(٧٩).

٣– أنْ

مِن الحروف التي ترد لغوا عند سيبويه ,ولإلغائها وجهانِ: **الأول**: أن تكون بين القسم و(لو) قال سيبويه: ((واللام التي في الفعل كهذه التي في الفعل هنا. ومثل هذه اللام الأولى (أنْ) إذا قلت: (واللّهِ أنْ لو فَعلتَ لَفَعلتُ).وقال المسيب بن علس:

فأُقسِمُ أنْ لـوِ التقينا وأنتُمُ

لَكانَ لكمْ يومٌ مِنَ الشرِّ مُظلمُ

فـ(أنْ)في(لو)بمنزلة اللام في(ما)))(98)

والوجه الثاني: بعد (لمّا), قال سيبويه:((فأمّا الوجه الذي تكون فيه لغواً فنحو قولك:(لمَّا أنْ جاءوا ذهبتَ)))(99).

الخاتمة

ثبتَ أن اللغو مصطلح نحوي صرف له مجالات عدّة بيّنها سيبويه بدقةٍ في كتابه, منها ما وقع مع الأسماء ,ومنها ما وقع مع الأفعال ,ومنها ما وقع مع الأدوات والحروف. وتبين أنّ اللغو هو ما لا يكون عاملا, ولا معمولا؛ لذا, فاللغو عند سيبويه متوجّهٌ صوب القاعدة النحوية, ولا علاقة له بالمعنى, بخلاف الزائد الذي عُرِف عند النحويين بما كان دخوله وخروجه سواء.

وقد أجاز سيبويه إلغاء الفعل مع أنه ركن أساسي في الجملة, ولم يقتصر في ذلك على فعل محدّد, وإنما جاز في الأفعال الناسخة للابتداء, أوالمتصلة بما كما جرى في أفعال أخر, لكن بشرط تحقق الشرائط الملائمة للغو كما أجاز ذلك مع الاسم.

وعدّ سيبويه كثير من الحروف والأدوات لغوا ؛ لأنّ الحرف عامل ضعيف إذا ما قِيْس بالاسم أو الفعل

.

الهوامش

(١)سورة الفرقان :٧٢.
(٢)العين (لغو) :٤/٤٤٩.
(٣)المفردات للراغب الأصفهاني(لغا): ٢/٥٨٢ .
(٤)التعريفات الجرجاني : ١٩٢ .
(٥)الكتاب: ١/ ٥٥-٥٦ .
(٦) المصدر السابق :٤/٢٢١ .
(٧)يُنظر:شرح المفصل: ٨ /١٣١.
(٨)البيت لعمرو بن قعاس المرادي , ينظر:خزانة الأدب :٣/٥١-٥٢ .
(٩)الكتاب :٢/ ٣٠٨ .
(١٠)رصف المباني للمالقي :٧٩ ,وينظر: الجني الداني:٣٨٢ .
(١١)الكتاب:٤/ ٢٣٥ .
(٢١)يُنظر:شرح المفصل ابن يعيش :٨/٥٢١.
(٣١)الكتاب:٤/ ٢٢٢ , يُنظر:شرح المفصل: ٨ /٤٤١ .
(٤١)الكتاب:٤/ ٢٢٢ .
(٥١) الكتاب:٣/٥١١ , ويُنظر: الجني الداني:٣١٦ .
(٦١)الكتاب:١/٦٨٢ .
(٧١)المصدر السابق:١/٥٥-٦٥.
(٨١)يُنظر:شرح السيرافي على كتاب سيبويه :١/٠٢٣- ١٢٣.
(٩١)سورة الإخلاص : ٣.
(٠٢)هذه قراءة لطائفة من الأعراب ,وليست لواحد بعينه , يُنظر: معجم القراءات القرآنية : ٨/٣٧٢ .
(١٢)يُنظر: خزانة الأدب : ٩/٢٧٢.
(٢٢) الكتاب : ١/ ٦٥ .
(٣٢)يُنظر:شرح السيرافي على كتاب سيبويه :١/١٢٣- ٢٢٣.
(٤٢)الكتاب :٢ /٨٨.
(٥٢) يُنظر:شرح السيرافي على كتاب سيبويه :٢/٥١٤.
(٦٢)الكتاب: ٢/٣٣١ .
(٧٢)يُنظر: شرح السيرافي على كتاب سيبويه : ٢/٤٦٤ .
(٨٢)الكتاب:١/ ٧١٤ .
(٩٢)يُنظر: شرح السيرافي على كتاب سيبويه :٢/٥٠٣-٦٠٣.
(٠٣)يُنظر: شرح المفصل: ١:٠٩-١٩, وشرح الرضي على الكافية:١/٣٤٢-٤٤٢, والإنصاف في مسائل الخلاف (مسألة ٩٢):٥٤٢-٦٤٢.
(١٣)يُنظر:الكتاب :٢/٨١١.
(٢٣) الكتاب : ١ / ٥٥ – ٦٥ .
(٣٣) شرح السيرافي على كتاب سيبويه :١/١٢٣ .
(٤٣)شرح الرضي على الكافية:٤/٠١٢.
(٥٣)الكتاب : ١/٦٥ .
(٦٣)شرح السيرافي على كتاب سيبويه : ١/٢٢٣.
(٧٣) المقتضب : ٤/١٩ .
(٨٣)الكتاب : ٢/٢٣١ - ٣٣١.
(٩٣)يُنظر: شرح السيرافي على كتاب سيبويه : ٢/٤٦٤ .
(٠٤)الكتاب:١/٦٢١ .
(١٤)يُنظر: شرح السيرافي على كتاب سيبويه :١/٤٦٤-٥٦٤ .
(٢٤)الكتاب:١/٠٤ .
(٤٣)يُنظر:المقاربات التداولية في شرح السيرافي على كتاب سيبويه (رسالة

ماجستير):٧٧
(44)يُنظر: سياق الحال في كتاب سيبويه :128- 129.
(45)الكتاب:120-1/119 .
(46)يُنظر:شرح السيرافي على كتاب سيبويه :١/ ٤٥١.
(47) الكتاب:126.
(48)المصدر السابق:366-2/365 .
(49) المقتضب :3/188 .
(50)المصدر السابق :3/95.
(51)الكتاب:1/39 .
(52)المصدر السابق 1/121.
(53) يُنظر:شرح السيرافي على كتاب سيبويه :١/ ٤٥٣ .
(54)الكتاب:1/40.
(55)يُنظر:شرح السيرافي على كتاب سيبويه:١/٢٨٢, ٤٥٢.
(56)يُنظر:الكتاب:40-1/39.
(57)سورة البقرة :65 .
(58)سورة الأنفال :60.
(59)الكتاب :1/40 .
(60)الأصول في النحو:1/73 .
(61)يُنظر: الكتاب:1/40.
(62)يُنظر: شرح الرضي على الكافية :4/432- 433.
(63)الكتاب:3/331 .
(64)المصدر السابق:3/ 130,ويُنظر:المقتضب: 2/360,والأصول في النحو:1/ 236,و المقاصد الشافية :2/359.
(65)يُنظر:دلائل الإعجاز :330 .
(66)الكتاب:2/ 418.
(67)المصدر السابق:4/221.
(68)يُنظر:الكتاب:2/ 148,ويُنظر:المقتضب:4/108,والأصول في النحو:1/229.
(69)البيت لابن كُراع , يُنظر: خزانة الأدب :10/251 .
(70)الكتاب:2/138 .
(71)يُنظر:شرح السيرافي على كتاب سيبويه :٤٦٨/٢.
(72)يُنظر:شرح السيرافي على كتاب سيبويه :٤٦٨/٢ ،وشرح المفصل :٥٨/٨.
(73)الكتاب :3/ 59 .
(74)يُنظر:شرح السيرافي على كتاب سيبويه :٢٦٠/٣,وشرح المفصل:٤٣/٧ .
(75)الكتاب :3/ 60 .
(76)الأصول في النحو:٢٢٠/٢ .
(77)الكتاب :3/ 59 .
(78)يُنظر: خزانة الأدب :9/70 .
(79)الكتاب:79-3/78 .
(80)سورة الإسراء :110.
(81)الكتاب :3/ 59 -60 .
(82) شرح الرضي على الكافية :4/435 .
(83)معاني النحو,فاضل السامرائي :٧٠/٤ .
(84)سورة النساء : ١٥٥.
(85) الكتاب:٤/ ٢٢١ .
(86)شرح السيرافي على كتاب سيبويه :٥/ ٩٨.
(87) الكتاب :1/181 .

(88)يُنظر :شرح السيرافي على كتاب سيبويه:٣٥/٢ .
(89) الكتاب:3 /115.
(90)يُنظر: شرح المفصل ابن يعيش :١٣٢/٨ .
(91)الكتاب :3/156 .
(92)ينظر: المسائل المشكلة, أبوعلي الفارسي:٢٨٧.
(93)الكتاب :3/ 83-82 .
(94)الكتاب :4/234.
(95)المصدر السابق :3/12- 13 .
(96)المصدر السابق :3/107 .
(97)المصدر السابق:3/152 .
(98)المصدر السابق:3/107.
(99)المصدر السابق:3/152.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتب المطبوعة

. الأصول في النحو , أبو بكر محمد بن سهل بن السراج(ت٣١٦هـ) تحقيق د.عبد الحسين الفتلي , ط ٣ , مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر , بيروت , لبنان , ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م .

-الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين , كمال الدين ابن الأنباري(ت ٥٧٧هـ) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ,ط٤ ,مطبعة السعادة , مصر , ١٣٨٠هـ -١٩٦٠م.

- التعريفات , الشريف الجرجاني علي بن محمد (ت ٨١٧هـ), مصطفى البابي الحلبي , وأولاده, مصر ,1357هـ .

. الجني الداني في حروف المعاني, الحسن بن قاسم بن عبد الله المرادي المصري (ت749هـ), تحقيق د. فخرالدين قبارة ,والأستاذ محمد نديم فاضل دارالكتب العلمية ,الطبعة الأولى,بيروت لبنان,١٩٩٢م - ١٤١٣هـ .

. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ,عبد القادر بن عمر البغدادي(ت ١٠٩٣ هـ) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون , ط1, مكتبة الخانجي , القاهرة , 1406هـ - 1986م .

. دلائل الإعجاز ,عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) قرأه وعلّق عليه :محمود محمد شاكر, مكتبة الخانجي للطباعة والنشر , مطبعة المدني , القاهرة, 1404هـ -1984م.

. رصف المباني في شرح حروف المعاني ,أحمد بن عبد النور المالقي (ت702هـ) , تحقيق: أحمد محمد الخراط , مطبوعات مجمع اللغة العربية في دمشق , 1394هـ .

. سياق الحال في كتاب سيبويه دراسة في النحو والدلالة , د.أسعد خلف العوادي ,ط1,دار الحامد للنشر والتوزيع ,عمان ,الأردن ,1432هـ - 2011م.

. شرح الرضي على الكافية, رضي الدين الاستربادي (ت٦٨٦هـ) تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر, ط2, منشورات جامعة قازيونس بنغازي, ١٩٩٦م.

ـ شرح كتاب سيبويه ,أبو سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان السيرافي (ت٣٦٨هـ) تحقيق أحمد حسن مهدلي, وعلي سيد علي, ط1, دار الكتب العلمية , بيروت, لبنان , ٢٠٠٨م.
ـ شرح المفصل , موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت 643هـ) طبع و نشر إدارة الطباعة المنيرية في مصر , دون تاريخ .
ـ العين , أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175 هـ) تحقيق الدكتور مهدي المخزومي ,والدكتور إبراهيم السامرائي , ط 1 , منشورات الأعلمي للمطبوعات , بيروت , لبنان , ١٩٨٨م – ١٤٠٨هـ .
ـ كتاب سيبويه , أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون , ط٣ , الناشر: مطبعة الخانجي في القاهرة , ١٤٠٨ هـ١٩٨٨ م .
ـ المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات , أبو علي الحسن بن أحمد بن الغفار الفارسي (ت 377هـ) ,دراسة وتحقيق : صلاح الدين عبد الله السينكَاوي,وزارة الأوقاف والشؤون الدينية , إحياء التراث الإسلامي , مطبعة العاني ,بغداد , دون تاريخ .
ـ معاني النحو , د. فاضل صالح السامرائي, ط٢, شركة العاتك للطباعة والنشر , القاهرة , مصر , 1423هـ – 2003 م .
ـ المفردات في غريب القرآن, أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت502هـ) تحقيق مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز ,الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز .
ـ المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية , أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت٧٩٠هـ) تحقيق: د .عبد الرحمن بن سليمان العُثيمين , ط١ , طبع معهد البحوث العلمية وإحياء التراث , جامعة أم القرى , مكة المكرمة , 1428هـ – 2007م .
ـ المقتضب ,أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ) تحقيق : د .محمد عبد الخالق عضيمة , ط ٣ , القاهرة , ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .
ـ معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القرّاء , إعداد : د . أحمد مختارعمر , و د. عبد العال سالم مكرم , ط٢ , دار الأسوة , طهران , ١٤٢٦هـ .

الرسائل والأطاريح

ـ المقاربات التداولية في شرح السيرافي على كتاب سيبويه, عمّار إحسان الخزاعي رسالة ماجستير, كلية التربية , جامعة القادسية , 1434هـ – 2013م .

Otiose in The book of Sibawayh. The

The grammatical term of “otiose” is an integral notion in the book of Sibawayh: it has its own system, meanings. Otiose has many uses i.e. it occurs with nouns, with verbs and with particles and letters.

This term had become so common in the book of Sibawayh, but it faded away after Sibawayh and it was replaced with “augmentation”. This research paper is an attempt to correct the common erroneous statement that otiose and augmentation are synonymous. It was shown that the use of otiose is more elegant and accurate than augmentation even if it was misunderstood.